

تجليات الانسجام النصي في المتن الشعري العربي
قصيدة " الخيول " لأمل دنقل أنموذجا

Appearances of textual harmony in the Arabic poetic text
The poem "The Horses" by Amal Dunqul AS a model

عيوش نعيمة*

جامعة الجزائر 02، n.ayouche@univ-dbkm.dz

أد/ علي ملاحي

جامعة الجزائر 02

تاريخ النشر: 2021/09/27

تاريخ القبول: 2020/10/07

تاريخ الإرسال: 2020/05/30

ملخص:

تقوم هذه الدراسة على توضيح بعض المصطلحات ومفاهيمها التي تتعلق بالدراسات النصية، ورصد أهم آليات الانسجام النصي ودور العلاقات الدلالية في ربط أجزاء النص وتلاحمه، ومن بين هذه العلاقات علاقة السببية، الإجمال والتفصيل، والتدرج، والتعليل، ومبدأ التشابه، وغيرها، كما أن هناك العديد من الروابط الدلالية كالمعرفة الخلفية، والتغريض، والبنية الكلية، وغيرها، نحاول أن نرصد هذه الآليات داخل نص قصيدة "الخيول" لأمل دنقل لنوضح مدى أهميتها في تحقيق انسجام النص وتماسكه.

الكلمات المفتاحية: لسانيات، النص، الانسجام، العلاقات، الدلالية.

ABSTRACT :

This study is based on clarifying some concepts and terms related to textual studies, and monitoring the most important mechanisms of textual harmony and the role of semantic relationships in linking and cohesion of parts of the text, and among these relationships are the relationship of causality, summarization and detail, progression, reasoning, the principle of similarity, and others, as well as There are many semantic links such as background knowledge, libation, the overall structure, and others. We try to monitor these mechanisms within the text of the poem "Horses" for "Amal Denqul" to show how important they are in achieving the harmony and cohesion of the text.

Keywords: linguistics, text, cohérence, relationships, semantic.

* المؤلف المرسل

1. مقدمة:

إن أهم ما تتضمنه العلوم اللسانية هو السجلات الاصطلاحية التي تتيحها والمفاهيم المرتبطة بها، والتي نجدها تتجدد بحسب آراء منظريها، ما شكّل تراكما معرفيا أتاح ظهور العديد من الفروع المعرفية، إذ تبلورت الدراسات النصية بعد انتقال البحث اللساني من الجملة إلى النص، اهتم الدارسون بالبحث في حدود الكلمة والجملة وجعلوها محور الدراسات اللسانية، إلا أنه ما فتئ أن تغير اهتمام الدارسين وانحصر اهتمامهم في النص، وظهر بذلك فرع جديد من فروع اللغة وهو لسانيات النص، يعرفه " صبحي ابراهيم الفقي " بأنه " ذلك الفرع من فروع علم اللغة الذي يهتم بدراسة النص باعتباره الوحدة الكبرى، وذلك بدراسة جوانب عديدة أهمها الترابط أو التماسك ووسائله وأنواعه، والإحالة أو المرجعية وأنواعها، والسياق النصي ودور المشاركين في النص (المرسل والمستقبل)، وهذه الدراسة تتضمن النص المنطوق والمكتوب على حد سواء"¹. وعليه تمثّلت إشكالية بحثنا في: ما أهمّ آليات الانسجام النصي في المتن الشعري العربي؟ وللإجابة عن هذه الإشكالية اخترنا قصيدة الخيول للشاعر أمل دنقل أنموذجا تطبيقيا.

1- مفهوم النصية (Textualité): تعد النصية أحد أهم المفاهيم الأساسية التي تبنتها لسانيات النص، حيث يعرفها سعد مصلوح " هي حدث تواصلية يلزم لكونه نصا إن تتوفر له سبعة معايير للنصية مجتمعة، ويزول عنه هذا الوصف إذ تخلف واحد من هذه المعايير"²، إذ أنّها تطلق على النص بكل جوانبه، ويعرفها محمد خطابي بقوله " هي مجموعة السمات التي إذا ما تحققت في ملفوظ ما عدّ نصا، أو هي مجموعة من الوسائل اللغوية التي تخلق النصية"³.

1.1-المعايير النصية عند دي بوجراند (R.D BAUGrand):

تحدد نصية النص من خلال مجموعة من الوسائل كما حددها روبرت دي بوجراند (R.D BAUGrand) فيما يلي : الاتساق، الانسجام، القصديّة، المقبولية، الاخبارية، المقامية، التناص.

- القصديّة (Intentionality): نقصد بالقصود هو رغبة المرسل في إيصال مقاصده الى المتلقي.
- المقامية (Situationality): نقصد بالمقام الظروف المحيطة التي ينشأ فيها النص ومدى مناسبة النص للموقف .
- المقبولية (Acceptability): تتعلق بموقف المتلقي الذي يحكم على النص فيما اذا كان متماسكا مقبولا لديه.
- الاخبارية (Informativity): يرتبط هذا العنصر بالباث اذ لا بد ان يحتوي نصه على معلومات يوجهها للمتلقي والتي من خلالها يدرك محتوى النص.
- الاتساق (Cohesion): هو عنصر يهتم بالظواهر الشكلية النصية التي تحقق للنص ترابطه وسبك أجزاءه.
- الانسجام (Coherence): هو عنصر يهتم بالظواهر الدلالية التي ترتبط بالنص وتعمل على تحقيق انسجامه وحبك اجزائه.

- التناص (Intertextuality): هو ان يترابط النص مع مجموعة من النصوص السابقة بحكم التأثير اي تبعية النص لنصوص أخرى او تداخله معها .

إن من أهم مقومات النصية تأكيدها الاستمرارية والاطراد داخل النص، أي ضرورة ترابط الأجزاء المكونة للنص، فالنص كما أكد العديد من الباحثين وحدة دلالية تتشكل من أجزاء متعددة، وفق نظام نحوي أفقي وآخر دلالي عمودي، فالمستوى الأفقي عبارة عن وحدات نصية مترابطة فيما بينها بعلاقات النحو، وأساليب اللغة المتداولة على السنة أهلها، أما المستوى الرأسي فهو يمثل العلاقات الدلالية وحيوط المعنى المنطقية⁴.

أما سعد مصلوح فيرى أن معايير النصية تنقسم إلى ثلاثة اصناف :

- الصنف الأول: يتعلق بالنص ويضم معياري السبك والحبك.

- الصنف الثاني: يتعلق بمنتج النص ومتلقيه، ويضم معياري القصدية والمقبولية.

- الصنف الثالث: يتعلق بظروف إنتاج الخطاب، ويضم الموقفية والتناص.

عادة ما يعرف النص عند اللسانيين بأنه متتالية من الجمل المترابطة والمتماسكة فيما بينها، حيث يعرفه سعيد بحيري "أن النص يتألف من عدد ما من العناصر، تقيم فيما بينها شبكة من العلاقات الداخلية التي تعمل على إيجاد نوع من الانسجام والتماسك بين تلك العناصر، وتسهم الروابط الزمانية والروابط الإحالية في تحقيقها، يضاف إلى تلك العلاقات الداخلية علاقات أخرى بين النص ومحيطه المباشر وغير المباشر، ويؤدي الفصل بين هذه العناصر الداخلية أو إسقاط أي منها أو إغفال أية علاقة سواء كانت داخلية أو خارجية إلى العجز عن إثبات الوحدة الكلية أو التماسك والانسجام الدلاليين للنص"⁵.

وحسب رؤية محمد خطابي فإن النص ينظر إليه من جانبين، جانب اللسانيات العامة وجانب لسانيات الخطاب، الذي ينظر إلى النص من ناحية الاتساق والانسجام والبيانات الكلية، باعتبارها تجسد الصعيد الدلالي من الخطاب، ويبقى الصعيد التداولي متضمنا للسياق والأفعال الكلامية وتداوليات الخطاب والأفعال الكلامية، وتداوليات الخطاب والأفعال الكلامية الكلية"⁶.

2-تعريف الانسجام النصي:

2.1-تعريف الانسجام لغة:

ورد في لسان العرب مادة سجم: " سجمت العين الدمع والسحابة، الماء تَسْجُمُهُ و تَسْجُمُهُ سَجْمًا و سُجْمًا و سَجْمَانًا، وهو قطران الدمع وسيلانه، قليل كان أو كثيرا، وكذلك التَسْجَام من المطر، والعرب تقول دمع سَجْمٌ و انسجم الماء، والدمع فهو منسجم إذا انسجم أي انصب"⁷.

كما ورد في القاموس المحيط " سجم الدمع سجوما وسجاما ككتاب وسجمته العين والسحابة الماء تسجمه وتسجُمُهُ سَجْمًا و سُجْمًا و سَجْمَانًا، قطر دمعها وسال قليلا أو كثيرا"⁸.

وبالتالي يرتبط الانسجام من خلال هذه التعاريف اللغوية بالصب والسيلان وبالتالي توحى بالتالي والتتابع والانتظام.

-اصطلاحا:

تعددت المقابلات العربية للمصطلح (Cohérence)، حيث يطلق عليه "محمد خطابي" مصطلح (الانسجام) أما "تمام حسان" فترجمه (بالالتحام) و(الترايط المفهومي)، أما "محمد مفتاح" فأطلق عليه مصطلح (التشاكل)، في حين أطلق عليه "سعد مصلوح" و"محمد العبد" مصطلح (الحبك)، وسماه "محمد لطفي الزليطي" و"منير التريكي" ب (التماسك المعنوي)، أما عادل مناع سماه ب(التماسك الدلالي)، فإن تعددت المقابلات العربية لمصطلح (Cohérence) فإنه يحيل إلى مدلول واحد .

2. 2- الانسجام النصي في الدراسات العربية القديمة:

لا يمكننا بأي حال أن ننكر الجهودات الجبارة التي قدمها العرب القدماء في مجال الدراسات النصية، والتي كانت - في نظرنا - دقيقة وصائبة كونها ارتبطت بالدراسات القرآنية، فهناك العديد من القضايا الحديثة والمعاصرة التي تم التطرق لها في الدراسات العربية القديمة، والتي تختلف في المصطلحات المستعملة.

إن المتتبع للتراث اللغوي العربي الإسلامي لن يعدم وجود تفكير لساني، وصلت اهتماماته درجة الحديث عن كل القضايا النصية، ولعل ذلك نابع من توالي الجهود والبحث في الاعجاز القرآني، ما أثمر ظهور علوم لغوية لاتزال بعد قرون عديدة تنبض بروح البحث اللغوي الدقيق، تجاوزت بذلك العديد من النظريات اللسانية المعاصرة وأصبحت مرجعا علميا يعتد بها يومنا هذا، كما أسهمت أيضا الدراسات النحوية في تعميق الدرس اللغوي واتساعه، وظهور العديد من علوم العربية كفقهاء اللغة وأصول النحو والدراسات الصرفية، والصوتية، والبلاغة بعلومها المتفرعة (علم البيان والبديع والمعاني)، إضافة إلى كتب النقد ودراسة الشعر، وقد تقدّمتها تأليف المعاجم.

سنكتفي في هذه الدراسة بعرض المباحث النصية التي أشار إليها الدارسون العرب القدامى، من بين هؤلاء نجد "الجاحظ" الذي تحدث عن البناء الشعري وتلاحم أجزائه، كما حاول تحديد شروط إنتاج الخطاب من خلال كتابه (البيان والتبيين)، حيث رأى أن البيان ناتج عن التفاعل بين المتكلم والسامع، يقول "الجاحظ" في تعريفه للبيان "البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجب دون الضمير، حتى يفضي السامع الى حقيقته ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان ذلك الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام فأَيّ شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضوع"⁹.

وبالتالي البيان هو الكفيل بنقل المعنى من المتكلم إلى السامع ما يحقق له الفهم، فالتكلم يقوم بالتركيب والبناء أما السامع فيقوم بالتفكيك وإعادة البناء وهكذا يكون البيان هو الخطاب أو النص بمفهومه الحالي، لأن البيان هو الدلالة الظاهرة على المعنى الخفي، ومن خلال التمعن في قول الجاحظ نستشف أن فكره كان متجها بلا شك نحو

النص باعتباره وسيلة ربط بين المتكلم والسامع من أجل الفهم والإفهام، والعناصر التي وقف عندها الجاحظ (المعاني قائمة في الصدور متصورة في الأذهان) والتي تمثل أسس نظرية الكلام أو المعرفة عنده إنما تجعلنا نعتقد أن البيان في حقيقة الأمر هو النص¹⁰.

لم تتوقف الدراسات اللغوية العربية القديمة عند حدود الجملة، بل تعدت إلى التراكيب إذ اهتموا بالبنية النصية، وقدموا بحثاً نصية واحدة من بينها المجهودات التي قدمها "عبد القاهر الجرجاني" الذي أسهب في الحديث عن الانسجام النصي بقوله "فلو أنك عمدت إلى بيت شعر أو فصل نثر فعددت كلماته عدا كيف جاء واتفق، وابطلت نضده ونظامه الذي عليه يبني وفيه أفرغ المعنى وأجرى وغيرت ترتيبه الذي بخصوصيته أفاد كما أفاد وبنسقه المخصوص ابان المراد نحو ان نقول في (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل) (منزل قفا ذكرى من نبك حبيب) أخرجته من مجال البيان إلى مجال الهديان، نعم وأسقطت نسبته من قائله، وقطعت الرحم بينه وبين منشئه، بل أحلت أن يكون له إضافة إلى قائل، ونسب يختص بمتكلم"¹¹.

وبالتالي المتأمل في التراث العربي يدرك أنّ الدراسات اللغوية لم تقف عند حدود النص، وإنما تطرقت إلى كل ما يجعل منه نصاً وإن لم تصرح بمصطلح النص.

2. 3- الانسجام النصي في الدراسات العربية الحديثة:

بالنسبة للانسجام النصي في الدراسات الحديثة أخذ اهتماماً واسعاً من قبل الدارسين العرب، إذ يعرفه "نعمان بوقرة" في كتابه "المصطلحات الأساسية في لسانيات النص" "الانسجام يتضمن حكماً عن طريق الحدس والبدئية، وعلى درجة من المزاجية حول الكيفية التي يشتغل بها النص، فإذا حكم قارئ على نص ما بأنه منسجم فلأنه عثر على تأويل يتقارب مع نظرتة للعالم، لأن الانسجام غير موجود في النص فقط، ولكنه نتيجة ذلك التفاعل مع مستقبل محتمل"¹².

يحيل مفهوم الانسجام عند الدارسين المحدثين إجمالاً إلى تلك العلاقات الدلالية العميقة للنص، إذ يسهم في تحقيق التماسك النصي من خلال مجموعة من الآليات، التي تعمل على ربط أجزاء النص وسبكها، هذه العناصر تظهر من بعد التمعن والتركيز.

يبين ذلك محمد خطابي بقوله "إن الانسجام يتطلب من المتلقي صرف الاهتمام إلى العلاقات الخفية التي تنظم النص وتولده"¹³.

أما سعد مصلوح فلم يستعمل مصطلح الاتساق والانسجام، وإنما استعمل السبك والحبك كونها أكثر شيوعاً في الدراسات العربية القديمة، ونالت قسطاً وافراً من الشرح والتفصيل.

2. 4- الانسجام النصي في الدراسات الغربية:

تظافرت جهود الباحثين الغرب في مجال الدراسات النصية، ووضعت طرائق للتحليل كما صنفت المعايير النصية وتتابع النماذج الغربية، فكان نموذج "فان دايك" الذي أولى اهتماماً كبيراً للانسجام الدلالي، وأما "براون" و"يول" فقد اهتمتا بالسياق والجانب التداولي للخطاب، كما رأى كل من "هايمنن" و"فيفيجر" أن وحدة النص لا تقاس

بظواهر سطحية، ولكنها تقاس بالبحث عنها في البنية الدلالية الأساسية التي تكشف عنها المسائل الدلالية الكبرى للأبنية المركبة والانسجام النصي¹⁴.

أما "هاليداي" و"رقية حسن" فقد ضمنا كتابهما (التماسك في الإنجليزية) مفاهيم أولية حول التماسك النصي من خلال الروابط اللفظية والعلاقات الدلالية، وكانا تركيزهما أكثر على أدوات التماسك الشكلية ودلالاتها على مستوى سطح النص، كما أن فان دايك أشار إلى أن دراسة "هاليداي" و"رقية حسن" ركزت على البنى الشكلية المنظمة لظاهر النص، ولربما ذلك عائد إلى صعوبة الإلمام بمختلف العلاقات الدلالية التصويرية، التي لا تتمثل شكليا في النص وإنما تحتاج إلى استنباطها وفهمها.

3- آليات الانسجام النصي:

1.3- بين البنية الكلية وموضوع الخطاب:

إن انتقال البحث اللساني من عتبة الجملة إلى النص، كان نقلة نوعية في مجال إدراك وتحليل الظاهرة اللسانية، انطلاقا من نظرية جديدة تبني على مبدأ الكل والجزء وماهية العلاقات بين الأجزاء المختلفة، أي الانطلاق من فكرة أن النص بنية كبرى تضم العديد من الأجزاء وأن يكون مناط البحث هو معرفة العلاقات التي تحكم هذه الأجزاء.¹⁵

لأن النص الفاقد للبنية هو في الأصل نص رخو ومتكسر، ووظيفة البنية تكمن بالدرجة الأولى في قتل رخاوة النص وشد مفاصله وجبر وحداته وذلك لتؤسس الهيكل الستاتيكي للنص، ولا تقتصر البنية الكبرى على ذلك، إذ أن البنية تمتلك طاقة تفسيرية للموضوع المعطى، وتتيح لنا أن نفهم شمولية الظاهرة الابداعية التي يعبر عنها وبها الكاتب، لأنها تلعب دورا رئيسيا في المعالجة الإدراكية للنص، إن البنية الكبرى تأخذ حيزا هاما لها في ذاكرة القارئ، فالتفاصيل تهمل والجزئيات تنسى والبنية الكبرى وحدها تقاوم النسيان.¹⁶

أما موضوع الخطاب فنقصد به الموضوع الذي يمكن أن يستخلصه القارئ من النص، أو ما يمكن أن يؤوله القارئ من مقصدية المتكلم، وبهذا هو " ينظم ويصف الإخبار الدلالي للمتتاليات ككل، تلك هي وظيفة موضوع الخطاب الذي يعد بنية دلالية بواسطتها يوصف الخطاب، وبالتالي يعتبر أداة إجرائية حدسية بها تقارب البنية الكلية للخطاب"¹⁷.

فموضوع الخطاب هو ما يدور بشأنه النص أو بؤرته التي توحيه وتكون الفكرة العامة والأساسية له، إذ يقصد به أن يكون للنص " جامع دلالي وقضية موضوعية يتمحور النص حولها ويحاول تقديمها بأدوات متعددة"¹⁸.

إذ أن النص قد يحتوي موضوعا أساسيا كما يحتوي أيضا على موضوعات فرعية، تدور حول موضوع الخطاب، وبالتالي تحقق عملية الترابط بين أفكار النص ومضامينه، كون أن موضوع الخطاب هو " نواة مضمون النص، حيث يسمى مسار الأفكار القائم على موضوع أو عدة موضوعات في نص ما، ويتحقق موضوع النص إما في جزء معين من النص أو بجرده من مضمون النص، وذلك بطريق العبارة المفسرة الموجزة المختصرة"¹⁹.

1.1.3- تجليات البنية الكبرى وموضوع الخطاب في قصيدة "الخيول" لأمل دنقل:

لا يمكن الولوج إلى النص من خلال تراكيبه وعناصره الجزئية فقط، وإنما لابد من أن يبدأ التحليل النصي من البنية الكبرى في العمل الأدبي وشرح ما في المتواليات النصية من تماسك وانسجام، إذ هناك العديد من العناصر المساعدة على تحديد موضوع الخطاب والبنية الكلية من بينها العنوان.

إن ثمة علاقة عضوية بين العنوان والنص الذي يحمله، وهي علاقة ارتباط عضوي فالعنوان يكمل النص ولا يخالفه، ويعكسه بصدق وأمانة، وهو ما أكد عليه النقاد من أن بين العنوان والنص علاقة تكاملية.

لعل أول عتبة نلج بها النص الشعري هو العنوان الذي تقدمه لنا النصوص، إذ أن للعنوان أهمية كبرى في بناء النص الشعري فهو يمدنا بزيادة ثمين لتفكيك النص ودراسته، إذ هو المحور الذي يتوالد ويتنامى ويعيد إنتاج نفسه وهو الذي يحدد هوية النص²⁰.

كما أن العنوان يقدم لنا مسبقاً نقطة بداية تفيد تأويلنا الأفكار التالية في النص، مثلاً نأخذ قصيدة لأمل دنقل (الخيول) يصور الشاعر في هذه القصيدة المكانة التي حظت بها الخيول في المجتمعات الإسلامية، فنجد أن هذا العنوان الرئيسي أخذ حيزاً كبيراً من القصيدة.

وهكذا نجد أن فحوى القصيدة مرتبط بعنوانها لتشكل لوحة متناغمة الأجزاء، وهذا هو الدور الذي يلعبه العنوان إذ أنه يختزل أفكار النص بين طياته، كما أنه هو المفتاح الذي نلج به النص وبالتالي هو يساعد القارئ في تفكيك شفرات النص، ويعمل على انسجامه لذا كما نتحدث عن شعرية النصوص صار واجب علينا أن نتحدث عن شعرية العنوان.

ففي قصيدة "الخيول" نجد أن العنوان يعكس صورة رمزية تحيل إلى العديد من المعاني، فهي توظف لدى المتلقي العربي العديد من المعارف الراسخة كالقوة والأصالة والفروسية، والتي جسدها الشاعر في قصيدته، بل يجعل القصيدة كاملة تدور حول الخيول لما تحمله من إرث عربي وإسلامي، لأن الخيول تحيلنا إلى تلك الفتوحات التي خاضها المسلمون، وتوجت بالنصر في سبيل نشر دين الحق، وبالتالي الخيول تحمل مرجعية تاريخية إذ أنها طالما ارتبطت بالحروب قديماً، كما أن للخيل أيضاً إحالة إلى مرجعية دينية وذلك لقوله تعالى "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون بها عدو الله وعدوكم"، وكذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم "الخيل معقود بنواصيها الخير حتى القيامة"، فالعنوان هو عتبة النص وأمل دنقل يحاول أن يوجه ذهن المتلقي إلى أن القصيدة تتمحور معانيها حول الخيل ولكن يبقى التساؤل مطروحاً لدى المتلقي حول كون أنها الخيل تحمل في قصيدته مدلولها الإيجابي أم أنه ينحرف بها إلى إيحاءات أخرى قد تكسر توقع القارئ، فالعنوان وظيفته أنه يقدم للقارئ مجموعة من التوقعات، توظف لدى المتلقي حسه التأويلي فيستحضر معارفه القبلية وقدراته التأويلية من أجل التكهن بمضمون

تجليات الانسجام النصي في المتن الشعري العربي قصيدة " الخيول " لأمل دنقل أنموذجا

عيوش نعيمة / علي ملاحي

النص، إلا أنه بعد ولوج هذه القصيدة نجد "أمل دنقل" يصدم القارئ من خلال تحول في رمزية الخيول، أصبحت تحمل دلالات جديدة مغايرة غير التي توقعها القارئ، وذلك من خلال قوله:

اركضي كالسلاحف

نحو زوايا المتاحف...

صيري أراجيح من خشب للصغار الرياحين

صيري فوارس حلوى بموسمك النبوي

وللصبية الفقراء حصانا من الطين

صيري رسوما... ووشما

تجف الخطوط به

مثلما جف - في رثيك - الصهيل²¹.

ففي هذا المقطع نجد تحول صارخ في الدلالة المتوقعة، ونحت منحى آخر ينم عن الضعف والتخاذل انمحت فيه الصورة الراسخة لدى المتلقي، لتعكس دلالات مختلفة وتصور بداية عهد جديد، عهد ركنت فيه الخيل إلى مضاجعها، وأصبحت انتصاراتها من الماضي الغابر، تركز في زاوية من المتاحف التاريخية من خلال توظيفه للوحدة اللغوية " صيري"، كما أن من خلال تكرارها حاول أن يؤكد للمتلقي الحالة التي أصبحت عليها الخيول الآن، فبعدما كان ماضيها مشرقا صار مسلوبا فقدت فيه الخيول مكانتها، صارت واهنة كالسلاحف لا تقدر على الركض أو الصهيل، حتى أنه يكسبها ضعفا أكثر وأكثر لتصير مجرد رسم أو وشم، وكأن خيول أمل دنقل تمشي مثقلة متهاونة متخاذلة لكي تصل للنهاية.

يجسد لنا أمل دنقل من خلال قصيدته "الخيول" بنية نصية كبرى منسجمة ومتناسكة من خلال العنوان، فالقصيدة يدور موضوعها حول الخيل إلا أنه يستعملها كإحالة إلى العديد من الدلالات، نجده من خلال هذه القصيدة يفتتحها بالمرجعية الدينية والتاريخية للخيل، والتي تبرز لنا المكانة الرفيعة التي حظيت بها في الإرث العربي خاصة في الفتوحات الإسلامية، ما يجعها توحى بالنصر والقوة والمكانة الرفيعة لدى المتلقي العربي من خلال قوله:

الفتوحات - في الارض - مكتوبة بدماء الخيول

وحدود الممالك

رسمتها السنايك

والركابان: ميزان عدل يميل مع السيف

حيث يميل²²

إلا أنه بعد تبيان هذه المكانة العظيمة ينحو منحى مغاير تماما، إذ ينتقل من تصوير يسرد فيها حياة الخيل كيف كانت في الماضي وما آلت إليه في حاضره، إذ لم تصبح الخيول عنده ترمز للقوة والعظمة والانتصارات، وإنما صارت

للاستعراض مقتصرة عند الحرس الملكي، بعدما كان يركبها الشجعان في الفتوحات لتحقيق الانتصارات حيث يقول :

أركضي أو قفي الآن... أيتها الخيل:

لست المغيرات صباحا

ولا العاديات - كما قيل - صباحا

ولا خضرة في طريقك تمحي

ولا طفل اضحي

إذا ما مررت به يتنحي

وها هي كوكبة الحرس الملكي...

تجاهد أن تبعث الروح في جسد الذكريات

بدق الطبول²³

استخدم الشاعر في هذه القصيدة الخيول كرمز لأسباب سياسية واجتماعية، إذ جسد من خلال هذه الأسطر الواقع الذي آلت إليه الخيول، من خلال استحضر زخم من الإيحاءات وكثافة الدلالات الشعرية، كي يعمق تصويره لهذه الحالة حيث أنه يكسر توقع القارئ، من خلال مساواته بين أن تركض وأن تتوقف، فالآن أصبح الأمر سيان متساويان مع أنهما فعلا متضادان، لأنها ليست تلك التي امتلكت شرف القسم الإلهي بها بقوله تعالى "العاديات صباحا"، وهي الخيل حين تغير في سبيله فتعدو وتضح، والضبح هو الصوت الذي يسمع من الفرس حين تعدو أما "المغيرات صباحا" فهي التي تغير مع الصباح، فالخيل التي يتحدث عنها "أمل دنقل" ليست تلك التي أقسم بها الله تعالى في القرآن الكريم، لجأ الشاعر إلى هذا التناص الديني ليعين المكانة المثالية التي حظيت بها الخيول، وكأنها لم تخلق إلا لهذا لتدل على القوة والركض والإغارة والصهيل، إلا أنها تخلت عن هذه المكانة لتصبح خيولا متخاذلة تركض كالسلاحف، حتى أنها فقدت صهيلها، هذا ما يصدم القارئ ويحدث له نكبة تحول صورة الخيول من القوة إلى الضعف، فبناء الشاعر لهذه المفارقة تجعل المتلقي ينتفض أمام حجج دينية وتراثية عربية.

يحاول "أمل دنقل" مخاطبة الخيول ويدعوها للانتفاض من أجل استرداد حررتها ومكانتها العظيمة إذ يقول:

كانت الخيل - في البدء - كالناس

برية تتراكم عبر السهول

كانت الخيل كالناس في البدء

تمتلك الشمس والعشب

والملكوت الظليل²⁴

تجليات الانسجام النصي في المتن الشعري العربي قصيدة " الخيول " لأمل دنقل أنموذجا

عيوش نعيمة / علي ملاح

استحضر الشاعر صورة الخيل في الماضي فقد كانت مساوية للناس، لذا فهو يؤكد هذا من خلال تكراره لهذه العبارة، في كونها تمتلك الحرية، حرية نابغة من الطبيعة حيث تعيش في البرية تتراكم عبر السهول، تمتلك الشمس والعشب والملكوت الظليل، إلا أنه يعود من الماضي ليستقر في الحاضر بقوله:

اركضي.. أو قفي

زمن يتقاطع

واخترت ان تذهبي في الطريق الذي يتراجع

تنحدر الشمس

ينحدر الأمس²⁵

يعود الشاعر ليخاطب الخيول بسخرية الحاضر الذي تعيشه، وأنه لم يعد يهمه أن تركض هذه الخيول لأنها حتما ستركض في الطريق الخاطيء، طريق الجمود والتعثر طريق تنحدر فيه الشمس وتتعدم معه الحرية، طريق مغاير لما عاشته في الماضي حيث كانت قوية وباسلة، لذا لم يعد يهمه أن تركض الآن.

ثم يردف قائلا:

والخيول التي انحدرت نحو هوة نسيانا

حملت معها جيل فرسانها

تركت خلفها: دمعة الندم الأبدى

وأشباح خيل

وأشباح فرسان²⁶

فهذه القصيدة تعكس لنا الحالة النفسية اليائسة للشاعر والمثقل بهموم أمته، كما نلمح أن أسلوبه مثقل بالأحاسيس، فتلك المقارنة بين الماضي والحاضر تبرز لنا أن الشاعر ليس من هذا الزمن مازال يعيش ذلك الزمن النبيل، ذلك التراث العربي الأصيل حيث كانت تتسابق فيه الخيول بعزيمة نحو النصر.

ولعل هذه الحالة النفسية اليائسة كانت نتيجة الخمود العربي، ونتيجة النكبات السياسية المتوالية التي تجرّعها الشاعر القومي، إذ تعكس الوضع العربي وتخاذل رؤساء العرب، فالتفأول صار لا مجال له في قصائد أمل دنقل، والمعروف عن أمل دنقل كان راصدا دقيقا للمحن التي مر بها الوطن العربي.

2.3- الانسجام النصي والعلاقات الدلالية:

اهتم الدارسون بظاهرة الانسجام النصي كونها تعد ركيزة أساسية في تحقيق التماسك النصي، وبناء على ذلك جاءت الدراسات متباعدة، أخذ من خلالها مفهوم الانسجام النصي حيزا واسعا في الدراسات الأدبية فتعددت بذلك آلياته وطرقه. إن العلاقات التي تحقق الانسجام الدلالي في النصوص هي التي تربط أجزاء النص ببعضها ببعض، بغض النظر عن الأدوات الشكلية السطحية التي تعنى ببناء التماسك الظاهر يقول محمد خطاطي " ينظر عادة إلى العلاقات التي تجمع أطراف النص أو تربط بين متوالياته (أو بعضها) دون بدو وسائل شكلية تعتمد في ذلك، عادة ينظر إليها على أنها علاقات دلالية مثال ذلك علاقات العموم، الخصوص، السبب، المسبب، الجمل، المفصل..."²⁷.

كما تعرض تمام حسان لعلاقات الربط المعنوي في كتابه الموسوم بـ "البيان في روائع القرآن" والذي أجملها في علاقات كالسببية، والتفسيرية، والنقض، والإبكال، والعلاقة الشرطية، والترتيب، والتعقيب والملابسة، والالزام والتعليل، وغيرها²⁸. أما سعد مصلوح فيرى أنها "حلقات الاتصال بين المفاهيم وتحمل كل حلقة اتصال نوعا من التعيين للمفهوم الذي ترتب، ط به بأن تحمل عليه وصفا أو حكما أو تحدد له هيئة أو شكلا، وقد تتجلى في شكل روابط لغوية واضحة في ظاهر النص كما تكون أحيانا علاقات ضمنية يضيفها المتلقي على النص"²⁹.

تمثل العلاقات الدلالية معيارا مهما من معايير النصية، إذ أنها تعمل على ربط أجزاء النص لتشكيل بنية نصية كلية، ترشد القارئ إلى التأويل والفهم السليم للنص، لأن للقراءة والتأويل دورا مهما في تحديد العلاقات الدلالية، ولأن أي نص لا يمكن أن يخلو منها، كما أنه يحمل وظيفة تفاعلية إخبارية إذ لا بد من وجود صلة ما، تقوم بالربط بين المعاني داخل النص الذي يهدف إلى تحقيق التواصل حتى يستطيع المتلقي إدراك مراد المتكلم من نصه.

مثال عن أهمية العلاقات الدلالية : حان وقت الصلاة المسجد بانتظارنا

صعد محمد الفضاء عاش محمد في دولة الجزائر

في المثال الثاني يوجد تطابق إحالي في الفعل (عاش) والعائد على (محمد)، وعلى الرغم من هذا التطابق فإن الجملتين لم ترتبطا، لأن المعنى الموجود في كل جملة لا يمت بصلة إلى الجملة الأخرى، على العكس في المثال الأول إذ تطابق المعنى بين الجملتين، مما يدل على أنّ للربط الدلالي أثرا كبيرا في توجيه المعنى، وبالتالي نستشف أن وظيفة العلاقات في النص هي تحقيق الاستمرارية الدلالية.

إن البحث عن الانسجام داخل النص يحيلنا الى رصد مجموعة من العلاقات الدلالية، التي تعمل على ربط دلالات النص وأفكاره من دون الاعتماد على الأدوات الشكلية اللفظية.

1.2.3- أنماط العلاقات الدلالية في قصيدة "الخيول" لأمل دنقل:

تسهم العلاقات الدلالية بشكل كبير في تحقيق التماسك النصي وانسجامه الدلالي، حيث تعمل على الربط بين أجزائه لتجعل منه كلا موحدا، تتعدد هذه العلاقات مثل: الاجمال والتفصيل، العموم والخصوص، البيان والتفسير، تعد هذه العلاقات احدى اهم دعائم تحقيق نصية النصوص وتماسكها الدلالي بمعنى تمنحه صفة الانسجام :

1- علاقة الاجمال والتفصيل: تعد من بين تلك العلاقات المنطقية العرفية التي تسهم بشكل كبير في انسجام النص، وايضاح دلالاته، يلجأ المنشئ إلى الاجمال والتفصيل عندما يقدم فكرة جملة تحتاج إلى إيضاح فيردفه بالتفصيل فيبين ما كان مجملا، وبالتالي هذا الاتصال بين الجمل والمفصل يسهم في إيضاح المعنى وكذا ترابط النص وانسجامه وتحقيق السيرورة الدلالية للنص.

و الأصل في هذه العلاقة هي أن يذكر الكلام مجملا ثم يعرض بيانه بعد ذلك مفصلا، من دون وسيلة شكلية بين التفصيل وما سبقه من إجمال إلا الرابط المعنوي الذي يجمعها " فالعلاقة بين الجمل وما فصله علاقة معنوية تحقق التماسك بين جمل النص، وهذه العلاقة مسوّغة للفصل بين الجمل"³⁰، فالإجمال والتفصيل متعلقان تعالقا شديدا، فالتفصيل يشرح الجمل ويزيل استغلاقه، وقد تتنوع هذه العلاقة في النص فقد ينتقل الإجمال الى التفصيل أو من التفصيل إلى الإجمال، كما تعمل هذه العلاقة على ضمان الاتصال بين المقاطع النصية، بفضل ما تمنحه من استمرارية دلالية بين مقاطع النص.

تجليات الانسجام النصي في المتن الشعري العربي قصيدة " الخيول " لأمل دنقل أنموذجا

عيوش نعيمة / علي ملاح

وعادة ما تتمظهر هذه العلاقة من خلال العنوان والمتمن الشعري مثلا قصيدة أمل دنقل الموسومة " بالخيول " هذا العنوان نجده يجمل ما يحويه النص من أفكار ، فالقصيدة عموما تتمحور حول الخيول لما لها من مكانة في النفوس العربية كونها ترمز للفروسية والشجاعة والقوة، وهذا ما نجده مفصلا في المتن الشعري حيث جعل الشاعر كل القصيدة تصب في العنوان الذي اقترحه للقصيدة.

2- علاقة الشرط والجزاء: إن العلاقات المنطقية داخل النصوص تسهم في انسجام النص، وجعله بناء مترابعا، يشير لدى المتلقي نوعا من الشغف والانجذاب نحوه، كون دلالاته مترابطة فيما بينها تخدم موضوع النص الذي سيق له، كما تشير لديه العديد من التساؤلات وتلهمه تأويلا غير منقطع، فيبدي العديد من التعابير كالحيرة والشك، والتوقع والتأمل، والتساؤل والإجابة، والاكتشاف، وهذا ما يسمى بالفاعل، هنا يصبح النص أكثر تأثير وإثارة، هذا ما يتطلع إليه كل نص من أجل ضمان المقبولية والبقاء لدى المتلقي، فالرابط بين الشرط والجزاء هو علاقة اقتران كون الشرط لا بد أن يكون له جزء فكما هو معلوم الشرط يتحقق بأدوات لفظية إلا أننا نحن في غنى عن الحديث عنها في هذا المقام إذ نحن بصدد توضيح أن الشرط والجزاء غير موجود ظاهريا في النص، إذ لا يعتد بالقرائن اللفظية، حيث يعتمد اكتشاف هذه العلاقة على فطنة المتلقي وحسن تقصيه للمعاني المبثوثة في النص ويتجلى ذلك من خلال قول الشاعر:

اركضي أو قفي

زمن يتقاطع

واخترت أن تذهبي في الطريق الذي يتراجع

تنحدر الشمس

ينحدر الأمس

تنحدر الطرق الجبلية للهوة اللانهائية:

إلى أن يصل لقوله:

كل درب يقودك من مستحيل إلى مستحيل³¹

فالشرط هنا لا يتضح من خلال أداة ما وإنما يفهم من خلال السياق الذي ورد فيه، فالشاعر وكأنه يشترط على الخيول أن تركز لأن من طبيعتها المتأصلة الركض، إلا أنها اختارت أن تتوقف أو تركز إلى الضعف فكان الجزء أن تذهب في الطريق الذي تختفي فيه شمس الحرية ويأفل نجم ذلك الأمس الساطع حيث كانت للخيول مكانة عالية وأن تصل إلى درب يقود إلى هوة لا نهائية.

3- علاقة التدرج: ويقصد بها " تدرج الانتقال في النص من مستوى إلى مستوى آخر أو مرتبة أعلى والعكس، أو تدرج المعنى الدلالي للحمل داخل فضاء النص من حال إلى حال أو من زمن أو مكان آخر، ولا شك أن التدرج يؤدي إلى التماسك الدلالي في النص"³²، فالتدرج أو التتابع يسهم في بناء البنية الكلية للنص وتوضح هذه العلاقة أكثر في قصيدة "الخيول" لأمل دنقل حيث نجد الشاعر يذكر العديد من المراحل التي عايشتها الخيول

- بدأ الشاعر قصيدته بالحديث عن الحقبة التي كانت تتمتع فيها الخيول بالحرية والبراءة والعيش بين السهول، من خلال

قوله:

كانت الخيل - في البدء - كالناس

برية تتراخض عبر السهول³³

- الحقة حيث بدأت الألفة بين الإنسان والخيول واستخدمها لأول مرة في حياته اليومية حيث يقول:

الخيول بساط على الريح..

سار - على متنه - الناس للناس عبر المكان³⁴

- يوضح الشاعر حقة الفتوحات وهو عصر القوة والشجاعة بالنسبة للخيول العربية وكأن الخيول بذلك وجدت مكانها المناسب رمز للطاقة حيث يقول:

الفتوحات - بالأرض - مكتوبة بدماء الخيول³⁵

- مرحلة أفول نجم الخيول العربية بقوله:

ماذا تبقى لك الآن؟

ماذا؟

سوى عرق يتصبب من تعب³⁶

فالشاعر أمل دنقل رصد كل هذه المراحل في قصيدته بشكل متدرج ومتابع مما ساهم عن خلق بنية كلية متلاحمة فيما بينها تعطي للمتلقي صورة كلية شاملة عن المراحل التي عايشتها الخيول بطريقة مرتبة ومتدرجة زمانيا.

4- علاقة الاستقصاء أو الإضافة: ويقصد بها تصعيد المعنى والوصول به إلى غايته، وهو الأمر الذي قد يقترب من المبالغة وهو الأمر الذي قد يقترب من المبالغة وهو عند ابن رشيق " التتميم " ويعني به أن يحاول الشاعر معنى فلا يدع شيئاً يتم به حسنه إلا أورده وأتى به، إما مبالغة وإما احتياطا واحتراسا من التقصير³⁷ ، ونجد ذلك متمثلا في قول أمل دنقل:

ماذا تبقى لك الآن؟

ماذا؟

سوى عرق يتصبب من تعب

يستحيل دنائير من ذهب

في جيوب هواة سلالاتك العربية

في حلبات المراهنة الدائرية

في نزهة المركبات السياحية المشتهة

وفي المتعة المشتركة

وفي المرأة الأجنبية تعلقك تحت

ظلال أبي الهول...³⁸

فالشاعر من خلال هذا المقطع أراد أن يصور الحال الذي آلت إليه الخيول في عصره، فلم يكتف بإعطاء صورة واحدة تصور هذا الوضع وإنما اتبعها بالعديد من المشاهد المتراكمة الإضافية حتى يعمق المعنى ويقرب الصورة الفعلية للمتلقي.

تجليات الانسجام النصي في المتن الشعري العربي قصيدة " الخيول " لأمل دنقل أنموذجا

عيوش نعيمة / علي ملاحي

5- علاقة التضاد: هي علاقة دلالية ناتجة عن تتابع قضيتين، كل منهما تحمل عكس معنى الأخرى، والتضاد إجراء يقوم به الكاتب ليضفي الشمولية على معنى ما، وذلك بإظهار الشيء ونقيضه، كما أنه يعمل على تمييز المعنى وبلورته وبالتالي تناسبه، ويظهر ذلك جليا في قصيدة الخيول للشاعر أمل دنقل إذ نجد يستحضر صورتين متضادتين للخيول قديما وحديثا ويقارن بين هاتين الصورتين محاولا إبراز هذا الفارق بالاستناد إلى المراحل الزمانية التي عاشتها الخيول، ونجد أن الشاعر يحدد هذا الفرق بين صورة ترمز للقوة والشجاعة والحرية وصورة ترمز للضعف والانهزام والعبودية يقول الشاعر:

كانت الخيل في البدء كالناس

تمتلك الشمس والعشب

والملكوت الظليل

ظهرها.. لم يوطأ لكي يركب القادة الفاتحون

ولم يلن الجسد الحر تحت سياط المروض

والفم لم يمثثل للجام³⁹

هذه الصورة تجسد المرحلة الأولى التي عاشتها الخيول وهي حرة ومفعمة بالقوة والصلابة ثم نجد يتبع ذلك بمرحلة أخرى تعتبر نقيضا لهذه المرحلة حيث يقول:

اركضي كالسلاحف

نحو زوايا المتاحف..

صيري تماثيل من حجر في الميادين

صيري أراجيح من خشب للصغار - الرياحين

صيري فوارس حلوى بموسمك النبوي

وللصبية الفقراء: حصانا من طين⁴⁰

نجد الشاعر في هذا المقطع يعطي صورة أخرى تشكل تضادا لما ذكره في المقطع السابق، هذا ما ساهم في خلق بنية كلية واضحة للمتلقي كون أن الأشياء أغلبها تفهم بالتضاد كما يعرف الليل بنقيضه النهار خاتمة:

يعد الانسجام النصي أحد أهم المبادئ التي تحكم النص الشعري، لتجعل منه بناء متماسك الأجزاء متلاحم البنيان، من خلال مجموعة من العلاقات الدلالية التي تتنوع وتتداخل فيما بينها لأداء مهمة الانسجام، وهو ما أتضح بجلاء على أنموذج بحثنا وهو قصيدة الخيول للشاعر أمل دنقل.

التهميش والإحالات:

¹ صبحي ابراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء، القاهرة، مصر، ط2000، 1، ص36.

² سعد مصلوح، نحو أجرومية للنص الشعري، مجلة فصول، المجلد 10، العدد 3، 1991/1، ص 154

³ محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ط1، 1991، المركز الثقافي العربي، ص 13

⁴ عبد المجيد جميل، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، 1998، ص 144

⁵ سعيد حسن بحيري، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة القائمة بين البنية والدلالة، ط1، 2005، ص 94

⁶ محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ط1، 1991، المركز الثقافي العربي، ص 13

- ⁷ ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، لبنان، ط1، 1990، مج12، ص 280
- ⁸ الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تح: محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1999، مادة (س ج م)، ص 1009.
- ⁹ الجاحظ، البيان والتبيين تح: درويش جويدي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 2003، ص56
- ¹⁰ بشير ابرير، مفهوم النص في التراث اللساني العربي، مجلة جامعة دمشق، المجلد23، العدد1، 2007، ص 103/102.
- ¹¹ عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تعليق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ص 4-5.
- ¹² نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص، ص 92
- ¹³ محمد خطايي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، مرجع سابق، ص 06
- ¹⁴ Heinemann. W- Veihweger.D. texte linguistik. Ein fue hrung. Max .Wiemyer Veriag (1991) .S.49.
- ¹⁵ صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، أغسطس، 1992، ص 253 .
- ¹⁶ صبحي الطعان، بنية النص الكبرى، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، دولة الكويت، مج23، العددان الأول والثاني، 1994، ص 436.
- ¹⁷ محمد خطايي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، مرجع سابق، ص 42 .
- ¹⁸ سامح الرواشدة، إشكالية التلقي والتأويل، منشورات أمانة عمان الكبرى، عمان، ط1، 2001، ص 96 .
- ¹⁹ كلاوس برينكر، تر: حسن بحري، التحليل اللغوي للنص، مؤسسة المختار، مصر، ط1، 2005، ص 72 .
- ²⁰ محمد مفتاح، دينامية النص - نظير وانجاز -، ص 330 .
- ²¹ أمل دنقل، الأعمال الشعرية الكاملة، مكتبة المديبولي، القاهرة، ط3، 1987م، ص 388.
- ²² المصدر نفسه، ص 387
- ²³ المصدر نفسه، ص 388.
- ²⁴ المصدر نفسه، ص 389.
- ²⁵ المصدر نفسه، ص 390
- ²⁶ المصدر نفسه، ص 391
- ²⁷ محمد خطايي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، مرجع سابق، ص 268
- ²⁸ تمام حسان، البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط2، 2000، ج1، ص 407
- ²⁹ سعد مصلوح، نحو أجرومية للنص الشعري، مرجع سابق، ص 154
- ³⁰ عادل مناع، نحو النص، مصر العربية للنشر، القاهرة، مصر، ط 2001، 1، ص 241
- ³¹ أمل دنقل، الأعمال الشعرية الكاملة، مصدر سابق، 390.
- ³² عادل مناع، نحو النص، مرجع سابق، ص 277 .
- ³³ أمل دنقل، الأعمال الشعرية الكاملة، مصدر سابق، ص 391.
- ³⁴ المصدر نفسه، ص 391 .
- ³⁵ المصدر نفسه، ص 387.
- ³⁶ المصدر نفسه، ص 392.
- ³⁷ حسام أحمد فرج، نظرية علم النص، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، 2007، ص 138.
- ³⁸ أمل دنقل، الأعمال الشعرية الكاملة، مصدر سابق، ص 392.
- ³⁹ المصدر نفسه، ص 389.
- ⁴⁰ المصدر نفسه، ص 388.